الدول الاتابكية

نتيجة لضعف السلاجقة ،برزت في اواخر عهدهم ظاهرة قيام دول منفصلة على حسابهم ،دارت في فلك دولة الخلافة العباسية ،عرفت بالدول الاتابكية ،وهي ذات اصول تركية .

نشأ الاتابكة في البلاط السلجوقي نتيجة للنظام الذي استحدثه السلاجقة القائم على شراء المماليك الاتراك وادخالهم في خدمة القصور السلطانية وبخاصة فيما يتعلق بتربية ابنائهم ،بالاضافة الى تولي الوظائف العامة .وترقّى هؤلاء في الوظائف الادارية والعسكرية حتى وصلوا الى المناصب القيادية ،واتخذوا من نشوب النزاعات داخل البيت السلجوقي ،بعد وفاة السلطان ملكشاه ،فرصة لفرض سيطرتهم على المناطق التي تحت حكمهم ،وتسابقوا في توسيع رقعتها كل على حساب الاخر ،وبذلك نشأنزاع اتابكي داخلي سار في خط مواز للنزاع السلجوقي الداخلي ، من هذه الاتابكيات :كيفا ، ماردين ،دمشق ،الموصل ،دانشمند ،الجزيرة ،اذربيجان وفارس .

والواقع انه لن يكون لهذه الاتابكيات الا دور متواضع في التاريخ لولا ان بعضها قدّر له ان يؤدي دورا مميزا في جهاد الصليبيين ، مثل اتابكية الموصل وحلب .

الشرق العربي في مواجهة الصليبيين :

غزت الشرق العربي الاسلامي في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي جموع اوربية لاتينية عرفت بالصليبين ،فتنافست مع امراء الاتراك واتابكتهم في تجزئة بعض اطراف الخلافة ،وطبعت المنطقة بطابع خاص طيلة قرنين من الزمن .

واذا كان لنا ان نذكر بأيجاز طبيعة هذه الحركة الصليبية ودوافعها ،نستطيع ان نقول انها في حقيقة امرها استمرار للصراع الطويل الذي قام

منذ العصور القديمة بين الشرق والغرب ،واتخذ في كل عصر شكلا معينا يتلائم ومقتضيات الظروف وان اتحد في الهدف والغاية .

درج المؤرخون على الاهتمام بثمان حملات صليبية ،اربع منها اتجهت نحو الاراضي المقدسة في فلسطين وهي الاولى والثانية والثالثة والسادسة ،واثنان الى مصر وهما الخامسة والسابعة ،وواحدة ضد القسطنطينية وهي الرابعة ،اما الثامنة فقد نزلت في شمالي افريقية .

بعد اعلان مولد الحركة الصليبية في كليرمونت على يد البابا اوربان الثاني نفي اواخر عام (/١٠٩٥م)بدأت استعدادات التنفيذ .فخرجت الحملة الاولى من اوربا الى الشرق العربي الاسلامي ،ونجح افرادها في تأسيس اربع امارات صليبية في الرها وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس ،واخطأالمسلمون في التقدير حين توهموا بأن الصليبيين على شاكلة الروم البيزنطيين .

استغل الصليبيون تدهور اوضاع المسلمين وانقسامهم فسعوا الى توسيع رقعة نفوذهم ،فكانت سراياهم تبلغ (آمد،ونصيبين ،ورأس العين ،واما الرقة وحران فكانتا تعيشان على الخوف من استضعاف الفرنج وهجماتهم ،وانقطعت الطرق الى دمشق الا الرحبة وبادية الشام ،فكان التجالر والمسافرون يلقون من المجازفة وركوب المفازة تعبا ومشقة ،ويخاطرون بالقرب من الاعراب ،بأموالهم وانفسهم ،ثم زاد الامر ،فجعلوا على كل بلد جاورهم خراجا واتاوة يأخذونها منهم ليكفوا ايديهم عنهم ... واما حلب فأنهم اخذوا مناصفة اعمالها ،واما باقي بلاد الشام فكان حالها اشد من حال هذه البلاد .وكان ملوك المسلمين عاجزين عن نصرة دينهم) حتى خيل للناس ولمن يرقبون تطور الاحداث في بلاد الشام ان الوضع قد صفا للصليبيين .

وظل شريط المدن الكبرى المتاخمة لبلاد الشام في ايدي المسلمين ،وتبين لهم على مر الزمن ان المنافذ البحرية التي نزل فيها الصليبيون لاتخلو من الاهمية الاقتصادية ،كما ادركوا ان هؤلاء الدخلاء لايرغبون في الاندماج داخل البيئة المحلية ،وانهم يعاودون القتال بين الحين والآخر ،ولم يمارسوا مطلقا سياسة التسامح .

نتيجة لذلك اخذت فكرة المقاومة والجهاد تبعث من جديد ،واتسع انتشارها بين عامة المسلمين الذين تألموا مما يشاهدون حولهم من فتور وانقسام سياسي ،يحول دون النضال ضد الصليبيين .ومن البديهي الا يستطيع المسلمون في بلاد الشام مكافحة الصليبيين دون اشراك المسلمين في منطقة الجزيرة والموصل ،وهي غنية بالرجال والموارد .وشيئا فشيئا انطلقت فكرة الجهاد من الموصل وحلب ،ثم دمشق ،وغدت الظروف السياسية والعسكرية تحتم ظهور امير قوي يتمكن من القضاء على تنازع الامراء المحليين ويوحد اماراتهم في جبهة اسلامية واحدة ،ثم يتصدى للصليبيين ،وقد تيسر لاتابكة الموصل ان يقوموا بهذا الدور .

المصادر:

١ـــــــــ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ

٢ـــــــــــ طقوش ، التاريخ الاسلامي الوجيز

أ.م.د اسراء طارق الجبوري
دويلات اسلامية
المرحلة الرابعة /قسم التاريخ